

لماذا تقتل يا زيد؟

قصة حقيقية للمقاومة العراقية

للكاتب الألماني : د. يورجن تودينهوفر

من إصدارات الدار المصرية اللبنانية، 2009

عرض / أحمد الباز - نرمين توفيق



شبكة رؤية الإخبارية

www.roayahnews.com

info@roayahnews.com

القاهرة: 38 024 010 246 202 +Tel

- عدد صفحات الكتاب 378 صفحة، تأليف ديورجن تودينهوفر، ألماني، حاصل على الدكتوراة في القانون من جامعة فرايبورغ، اشتغل في الإعلام، عضو بارز في البرلمان الألماني، ناطقاً باسم الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني، تجول في العديد من بلدان العالم.
- رسالة الكتاب الصادر في مارس 2008م هي أن حروب الغرب الاستعمارية والاستباقية ضد المنطقة جلبت الدمار للإنسانية وعرقلة الاندماج الثقافي بين الغرب والشرق.
- زيد، الوارد اسمه في العنوان، هو شخصية يتحدث إليها المؤلف دائماً، من أحد أفراد المقاومة العراقية، يبلغ 21 عاماً.
- الإهداء الخاص بالكتاب جاء فيه (إلى شعب العراق وإلى جميع المستضعفين في الأرض)
- ذهب المؤلف إلى العراق 2007، ويتناول أسباب ذهابه أنه أراد أن يتأكد هل تحول العراقيون فعلاً إلى إرهابيين، وهل يناضل الغرب في العراق فعلاً من أجل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان؟
- تعتمد المؤلف عدم زيارة أي قرية من القرى العراقية التي أعدها البنتاجون سلفاً لاستقبال الصحفيين بهدف خداعهم عن الوضع الحقيقي للعراقيين، خصوصاً أن الصحفيين لا يتحركون إلا بصحبة القوات الأمريكية التي لا تجعلهم يشاهدون إلا ما تريد أن يشاهدوا إياه.
- المؤلف قام بتغيير كل الأسماء والعناوين الواردة في الحقيقة لدواعي الأمن وحرصاً على حياتهم.

الفصل الأول | الرحلة إلى الرمادي

- المؤلف استخدم الآية القرآنية (من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا) وذلك في مدخل الفصل الأول (الرحلة إلى الرمادي)
- لم تكن الحكومة السورية ممثلة في قوات حرس الحدود أو المخافر الحدودية لتسمح بسهولة بعبور أي شخص إلى العراق، كما لم ترحب سوريا باستقبال مئات الفلسطينيين الفارين من بطش ميليشيات السياسيين العراقيين.
- المؤلف يستخدم مصطلح (احتلال) عند حديثه عن قوات التحالف.
- جزء من الطبقة السياسية في العراق يتعاون مع الاحتلال وليس كل الشعب كما هو مشاع، لذلك يوجد فجوة بين الشعب والحكومة.
- فيما مضى، قبل الاحتلال لم يكن هناك عراقي يهتم بموضوع التفريق بين السنة والشيعية، ففي البصرة توجد مقاومة وطنية قوية على الرغم من وجود شيعة وسنة.
- أنشأت الولايات المتحدة في العراق نحو مائتي سجن جونتنامو، وعلى الرغم من تناول الصليب الأحمر ومنظمات حقوق الإنسان للأمر، إلا أن الإعلام الغربي لم يلق بالبالأمر، على الرغم من أن هذه السجون تضم معاقين بسبب الحرب وكذلك أطفالاً.
- في عام 2006 تم تسجيل 65 حالة اغتصاب في السجون العراقية والأمريكية.
- يؤكد الكاتب على فكرة أن سياسة الغرب أبطال من نوع خاص، فهم يؤكدون على حالات انتهاك حقوق الإنسان في الصين وروسيا، بينما تتعقد وتنخرس أسننتهم في واشنطن.
- نظرًا لانقطاع الكهرباء معظم الوقت، فإن النساء العراقيات قد استخدموا فرن الطين مرة أخرى، وهو الفرن الذي أطلقوا عليه "فرن بوش"، نظرًا لكون انقطاع الكهرباء اشتد بعد الاحتلال، في دولة تعوم على النفط.
- يجب التأكيد على أن امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل أمرًا غير منطقي، خصوصًا في ظل الحصار المضروب على الدولة، ولم يكن لأحد في الغرب أخذ هذا الأمر على محمل الجد.
- على الرغم من أن خطابات الصحاف كانت تبدو غير حقيقية بشكل كامل، إلا أن العراقيين كانوا يرونها الأمل الوحيد بشأن هزيمة التحالف.
- لم يستقبل الشعب العراقي قوات التحالف بالترحاب، بل قام أهل الرمادي برشق قوات التحالف بالطماطم الفاسدة والأحذية والحجارة.
- بين عشية وضحاها عاد الجنود العراقيون مسرحيين، بدون زيهم العسكري، وفي لحظة أصبح الملايين بدون عمل، حيث انضم كثير منهم إلى المقاومة، والميليشيات الطائفية.
- شكل البعثيين والإسلاميين تيارًا كبيرًا من المقاومة، وكان للبعثيين أسبابهم للعمل مع الإسلاميين، أهمها أن البعثيين ليس لديهم الموارد المالية الكافية، بينما يحصل الإسلاميون على تبرعات خاصة من دول الخليج.

- كانت القاعدة تمتلك المال الوفير الذي مكنها من شراء صور وفيديوهات، ثم تدعي القاعدة أن هذه المشاهد المصورة والأفلام هي لعمليات خاصة قامت بها ضد قوات الاحتلال.
- يجب التفريق بين المتطرفين والمعتدلين، فالمتطرفون هم من يأتون من الخارج، أما المعتدلون فهم الأتباع الذين يدفع لهم المال الوفير وهم عادة من العراقيين.
- يجب ألا تبقى القاعدة في العراق، حيث إن لهم أهداف أكبر من عملية السلام، فهم يريدون أن تطول معركتهم مع الأمريكيين قدر الإمكان، ليس في العراق وحسب وإنما في مناطق أخرى، فالقاعدة لا تقاتل من أجل السنة، وهذا لا يصب في مصلحة العراق.
- تتساوى ميليشيات الشيعة مع القاعدة في الرسالة والأهداف، وهي ميليشيات تدعمها إيران، وأشدهم وطأة ميليشيا جيش المهدي.
- يزداد هذا الحال سوءاً وتعقيداً في ظل وجود القوات المتعاقدة مع الجيش الأمريكي الذين يتقاضون رواتب باهظة، ويتمتعون بحصانة وحماية من الملاحقة بأوامر من الحاكم الأمريكي في العراق «بول بريمر».
- المتعاقدون مع القوات الأمريكية جاءوا من أمريكا اللاتينية وأسيا وأفريقيا، ولهم مهام متعددة، فمنهم المسؤول عن حماية الشخصيات السياسية، ومنهم المسؤول عن عمليات النقل، أو حماية المبنى، ومنهم طبعاً من يشارك في القتال مع القوات الأمريكية، خصوصاً معركة الفلوجة.
- تم استخدام المرتزقة في عمليات قذرة لا تريد الجهات الأمريكية أن تلوث يديها بها، وفي حالة موت أحد من هؤلاء المرتزقة لا يتم الإعلان عن الاسم حسب الاتفاق المبرم بين الشركات والقوات الأمريكية.
- اشتركت القاعدة وجيش المهدي وأجهزة الاستخبارات في المسؤولية عن الهجوم على المساجد، وكان الهدف هو تشويه صورة المقاومة العراقية، وإضعاف روابط الصلة بين المقاومة والشعب التي لا علاقة لها بهذا الإرهاب.
- يجب التأكيد على أن من الأسباب الأساسية للمشكلات العراقية أن الولايات المتحدة قسمت القوى العراقية بعد الغزو تقسيماً طائفيًا، وتعمدت إشعال نار الفتنة بين السنة والشيعة، التي لم يكن لها وجود سابقاً، حتى تتمكن من تقسيم العراق، كما حدث مع ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث تم تقسيم القوة في الحكومة والبرلمان الألماني طبقاً للانتماء الطائفي إما للكنيسة البروتستانتية أو الكاثوليكية، وهي استراتيجية تتبعها الولايات المتحدة في المنطقة عموماً لمنع الوحدة العربية.
- لم تحارب المقاومة العراقية من أجل إقامة الدولة الإسلامية كما تدعي القاعدة، التي تدعمها المؤسسات السعودية السخية، أو الميليشيات الشيعية التي تدعمها إيران.
- كان المسيحيون والمسلمون في العراق يتمتعون بكل أنواع الحرية قبل الغزو، إلا أن المسيحيات الآن مجبرات على ارتداء غطاء رأس لأن الغزو دفع المتطرفين من السنة والشيعة إلى الواجهة، إلا أن الغرب لا يزال غير مدرك للفشل والخلل الذي أحدثته الولايات المتحدة في أركان دولة العراق العلمانية التي كانت سائدة في العراق قبل الغزو، وخاصة لمسيحي العراق...

يمكننا الإشارة فقط إلى أن طارق عزيز مسيحي وهو كان يشغل واحدًا من أهم المناصب بعد صدام حسين.

• كان البنتاجون هو المحتكر الوحيد للمعلومات في العراق، ولم يستطع كثير من قادة المقاومة التحدث مع الصحافة، حيث كان المراسلون يتناقلون في الأخبار ما يقوله الناطق باسم الجيش.

• لقد تعمدت الولايات المتحدة أن تقوم بعمليات التطهير الطائفي، حيث تم تهجير السنة إلى مناطق الشيعة، وتم تهجير الشيعة إلى مناطق السنة، وكان هذا ما قامت به قوات المتطرفين من القاعدة والمليشيات الشيعية.

• كان من أهم مشاكل الحكومات العراقية أن غالبية أعضائها يحملون جوازات سفر إيرانية، وهي كانت محاولة إيرانية تحت نظر القوات الأمريكية، لتمتد الحالة الطائفية في العراق.



الفصل الثاني | الفرضيات العشرة

- في هذا الجزء يتحدث الكاتب عن رؤيته المتعلقة بسبل القضاء على الإرهاب، والتي ترتبط بشكل أساسي من وجهة نظره ليس في معالجة ظواهرها العارضة كالجانب الأمني من مراقبة الانترنت ولا التجسس على الإسلاميين وإنما من خلال الاعتراف بأن السبب الحقيقي لظاهرة الإرهاب هو الطريقة غير الإنسانية التي تعامل بها الغرب مع العالم الإسلامي في آخر منتهي عام.
- تحدث تفصيلياً عن رؤيته هذه التي تعد ملخصاً لقراءته وكتاباتاته من خلال عشر فرضيات:

الفرضية الأولى: الغرب هو أكثر عنفاً من العالم الإسلامي، ملايين المدنيين كانوا ضحايا الحقبة الاستعمارية على العالم العربي.. خاصة وأنه في آخر منتهي عام لم يقم بلد إسلامي بالهجوم على الغرب وإنما كانت القوى الأوروبية والأمريكية هي المتعدية دائماً.

- استدل على ذلك بالاستعمار الفرنسي للجزائر الذي طارد العائلات والأسر المسلمة وكأنها ضباع وذئاب وثعالب جرباء.. وكانت استراتيجية المستعمر كسر شوكة المقاومة المعادية لرسالتهم عن طريق "دمر.. طارد.. أرب" كذلك استشهد بما فعله البريطانيون في العراق وقت تشرشل الذي أمر بقصف القرى العراقية بالأسلحة الكيميائية.
- ذات النهج استمر فيه الغرب في حرب العراق الأخيرة التي استخدمت فيه أمريكا قنابل اليورانيوم المنضب عند دخولها العراق والتي أدت إلى مقتل مليون مواطن وتشريد 4 ملايين آخرين، مشيراً إلى أن كوفي عنان قال إن وضع الشعب العراقي بعد الحرب أسوأ بكثير منه وقت حكم صدام.
- حرب العراق الأخيرة تصب في الأساس في مصلحة إيران والإسلاميين المتطرفين.

الفرضية الثانية: سياسات تجار الحروب الغربيين أدت إلى تزايد شعبية المتطرفين المنسوبين إلى الإسلام.

- الغرب مسؤول عن تغذية التطرف الإسلامي، حيث يرى الشاب المسلم يقتلون في العراق وأفغانستان وفلسطين ولبنان والصومال بأسلحة غربية وعلى أيدي تحالف وجنود من الغرب، ولذا فإنه لا بد أن يتأثر بما يرى.
- الإرهاب ليس ظاهرة إسلامية وإنما هو ظاهرة عالمية، وهناك منظمات إرهابية صهونية كمنظمة إرجون التابعة لمناحم بيجن التي تتفاخر بصفقتها الإرهابية من أجل تحقيق أهداف إسرائيل.

- من أصل 48 منظمة صنفها الاتحاد الأوروبي رسميًا في 2006 على أنها منظمات إرهابية، كان منها 36 منظمة لا علاقة لها بالإسلام، هذه المنظمات قتلت أعدادًا لا تحصى من المدنيين في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا.
- تعمد الغرب النيل من الأنظمة التي رفضت التبعية له، فلو أن صدام حسين بقي شريكًا لأمريكا ولم يخالف تعليماتها ل بقي في منصبه حتى الآن.

الفرضية الثالثة: الإرهابيون المرتدون لعباءة الإسلام قتلة، والوصف نفسه ينطبق على القادة المتخفين بعباءة المسيحية الذي يشنون الحروب العدوانية المنتهكة للقانون الدولي.

- الغرب هو من اخترع مصطلح "الحرب المقدسة" وليس المسلمون، وهو من شارك في الحملات الصليبية تحت شعار "الرب أراد هذا"، والتي قتلت أكثر من 4 ملايين مسلم ويهودي.

- الجهاد في الإسلام معناه بذل السعة وبذل الجهد في سبيل الله، وأن هذا الجهد قد يعني المشاركة في حرب للدفاع عن الأرض فقط.
- لا توجد حضارة في القرون الماضية أكثر عدوانية ودموية من الحضارة الغربية، وعليهم أن يسألوا أنفسهم متى شرف الساسة المسيحيون الدين المسيحي الذي يدعو إلى المحبة!.

الفرضية الرابعة: المسلمون ليسوا أقل تسامحًا من اليهود والنصارى، كما كانت لهم مساهمة كبرى في الحضارة الغربية.

- الغرب هو من اخترع مصطلح "الحرب المقدسة" وليس المسلمون، وهو من شارك في الحملات الصليبية تحت شعار "الرب أراد هذا"، والتي قتلت أكثر من 4 ملايين مسلم ويهودي.

- الجهاد في الإسلام معناه بذل السعة وبذل الجهد في سبيل الله، وأن هذا الجهد قد يعني المشاركة في حرب للدفاع عن الأرض فقط.
- لا توجد حضارة في القرون الماضية أكثر عدوانية ودموية من الحضارة الغربية، وعليهم أن يسألوا أنفسهم متى شرف الساسة المسيحيون الدين المسيحي الذي يدعو إلى المحبة!.

الفرضية الخامسة: حب الله وحب الغير تعاليم جوهرية في الكتاب المقدس، وهي في القرآن الكريم مبادئ أساسية أيضًا

- عند مقارنة النصوص يظهر أن القرآن الكريم يبدي تسامحًا لا يقل عما هو موجود في العهدين القديم والجديد، وفي ذات الوقت كما يوجد في القرآن آيات تتحدث عن القتال فهنا في العهدين القديم والجديد تتحدثان عن ذات الأمر.. يروى عن عيسى قولا مجازا "لا تظنوا أنني جئت لألقي سلامًا على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً" .. إنجيل متى 43.01
- يتجاهل المتطرفون وخطباء الكراهية في الشرق والغرب دائما السياق التاريخي لتلك النصوص، فموسى وعيسى ومحمد لم ينشأوا في فراغ تاريخي بل في عالم شغوف بالحرب، وأشار إلى أن التأمل السطحي يظهر العهد القديم الأكثر دموية بين الكتب الثلاثة المقدسة.
- المعضلة الأساسية في نقاش الغرب حول القرآن الكريم تتجسد في أن الجميع يتحدث عن القرآن ولكن لم يكلف أحدهم نفسه جهد وعناء قراءته ومعرفة الظروف التي نزلت فيها الآيات.

الفرضية السادسة: معاناة السياسة الغربية تجاه العالم الإسلامي سببها الجهل المريع لأبسط الحقائق

- جهل الغرب بالعالم الإسلامي يظهر بوضوح في مسائل بسيطة مثل اعتبارهم الحجاب الإسلامي رمز لاضطهاد المرأة، وهذا أمر ليس صحيح ويفتقر بشدة إلى معرفة طبيعة المجتمعات العربية والإسلامية، كذلك ختان الإناث هو أمر ليس مربوط بالإسلام وإنما يوجد في مصر مثلا منذ العهد الفرعوني ويوجد في دول أخرى غير مسلمة مثل إثيوبيا ذات الأغلبية المسيحية، كذلك تنتشر ما يعرف بجرائم الشرف في دول مسيحية كالبرازيل مثلا.
- بعض الدول الإسلامية تشجع المرأة في مجالات معينة بشكل أفضل مما هو عليه الحال في الغرب، ففي مصر 30% من أساتذة الجامعات من النساء بينما يصل عددهن في ألمانيا إلى 15% فقط.
- معاناة المرأة في دولة كالسعودية ليست مرتبطة بالدين وإنما هي مشكلة السياسة والأنظمة الاجتماعية ذات الصبغة الذكورية العقيمة.
- حتى عام 1957 كان كل رجل ألماني يستطيع بفضل قوامته القانونية أن يقرر السماح لزوجته بالعمل من عدمه، وفي سويسرا حتى عام 1970 كان معظم الرجال يرفضون إعطاء النساء حق الانتخاب، كما أن العهدين القديم والجديد يطالبون المرأة بالخضوع لإرادة الرجل.

الفرضية السابعة: على الغرب معاملة العالم الإسلامي بعدالة وسخاء كما يعامل إسرائيل، فالمسلمون مثل اليهود والنصارى قيمة وأهمية.

- يرى الكاتب أنه إذا اراد الغرب الحفاظ على مصلحة إسرائيل فعليه أن يبتعد عن تعميق الشرخ بين الشرق والغرب لأنه يعرض أمن إسرائيل للخطر على المدى القريب والبعيد.
- اليهود نجحوا في جعل لأنفسهم قيمة بين الأمم بسبب إبداعاتهم العلمية والاقتصادية والسياسية، ونضالهم الطويل لكنهم بالغوا في استخدام القوة، وعندما لا تقوم إسرائيل إلا بالتدمير فهي تدمر نفسها بنفس الطريقة، ومعاملتهم الحالية للفلسطينيين لا تتوافق مع القيم الأخلاقية.
- على الغرب أن يعامل العالم الإسلامي بنفس السخاء الذي يعامل به إسرائيل ليساعد في حرمان الإرهاب الدولي من جميع ذرائعه.

الفرضية الثامنة: على المسلمين الاقتداء بنبيهم محمد في العمل لنشر الإسلام الداعي إلى التقدم والتسامح، وعليهم أيضًا حرمان الإرهابيين من استخدام الدين.

- ليس على الغرب فحسب وإنما على العالم الإسلامي كذلك أن يغير سلوكه تغييرًا جذريًا، فواجب المسلمين المعتدلين أن يتدخلوا بشجاعة أكبر من أجل الحرية وسيادة القانون، ومن أجل حرية الجميع، ليترجموا رسالة نبيهم الرائعة إلى هذا العصر.
- لم يكن النبي محمد رجعيًا كما هو حال كثير من الساسة المسلمين في العصر الحالي، لقد كان ثائرًا جسورًا وناظرًا للأمام وداعيًا إلى المساواة وامتلاك الشجاعة على تحطيم قيود التقاليد، وجاهد بحماس من أجل التغيير الاجتماعي، ونهض من أجل الفقراء والضعفاء والنساء.
- كان النبي محمد متزوجًا بعدة نساء، مثله مثل آباء اليهود الأوائل إبراهيم وموسى والملك سليمان الذي كانت له ألف زوجة وجارية حسبما ذكر الإنجيل، ومن بين نساء محمد كان هناك يهودية ونصرانية، وكان محمد يؤمن بكل الرسالات قبله رسالة إبراهيم وموسى وعيسى ودعا أتباعه إلى ذلك فالمسلم الذي لا يؤمن بموسى وعيسى لا يكون مسلمًا، فضلًا عن أن عيسى وأمه مريم يوصفان في القرآن الكريم بكل محبة.

الفرضية التاسعة: لا شيء يغذي الإرهاب أكثر من حرب الغرب على الإرهاب. الحرب العدوانية ليست أكثر الأعمال خسة فحسب، وإنما هي الطريقة الأقل نكاء في مواجهة الإرهاب.

- صعود الإسلام المتطرف في العراق الذي كان دولة علمانية، وعودة بروز قوة طالبان له علاقة بوحشية وغباء الحروب الغربية ضد الإرهاب، لقد حفزت القوى المتطرفة في الغرب والعالم الإسلامي بعضها بعضًا.

الفرضية العاشرة: المطلوب اليوم هو فن السياسة وليس فن الحرب وبالذات في الصراع في إيران والعراق وفلسطين.

- رفض جورج بوش التحدث مباشرة إلى من لا يحب من السياسة كعرفات والأسد وصادام ونجاد، بعد تشاوره مع الرب لإخراج هؤلاء من مناصبهم بالقنابل، من أكثر القرارات الطفولية والعبثية والبعيدة عن المنطق في العصر الحالي، ويتبنى الكاتب الحوار مع هذه الدول كإسرائيل وإيران بدل من عزلها وحصارها.
- الخطر الرئيسي المحيط بعالم اليوم هو سياسة الاسترضاء الذي يكمن في بعض القوميين الغربيين من أصحاب استراتيجيات المقاعد الوثيرة، الذين لا يسمحون لأحد أن يسلبهم نظرتهم الضيقة للعالم وعنصريتهم غير المعلنة. هم تمامًا مثل أولئك الذين قادوا العالم إلى الحرب العالمية الأولى.
- الاستراتيجية الصحيحة تجاه العالم الإسلامي تكمن في فن الدولة وليس الحرب، والتفاوض اليقظ والصبر مثل الذي حدث في حل صراع المعسكرين الغربي والشرقي، والأمر يتطلب نظامًا عالميًا عادلًا للقضاء على الأرضية الخصبة التي ينمو فيها الإرهاب..

يختتم المؤلف هذا الكتاب بعبارة جاء فيها:

باختصار يجب إظهار الحزم والعدل في ذات الوقت.. الحزم ضد الإرهابيين، والعدل تجاه العالم الإسلامي.